أثر التحليل اللساني في بيان المقاصد القرآنيّة
ـ أبو حيان النحوي أنموذجا ـ

د/ رويسات محمد
أستاذ محاضر أ ـ
قسم اللغة العربيّة وآدابها .
كليّة الآداب واللغات. جامعة سعيدة .
البريد الإلكتروني :mrouissat@hotmail.fr

الملخّص:
في الدّراسة الموالية يتجلّى لنا مدى توظيف المفسّرين اللّغويين، وعلى رأسهم العلاّمة أبوحيّان النّحوي الأندلسي، لمختلف علوم اللّسان في تحليل النّصّ القرآني، وبيان مقاصده القريبة منها والبعيدة، وذلك عبر مستويات البحث اللّغوي، منها : المستوى الصّوتي، المستوى الصّرفي، المستوى النّحوي التّركيبي، والمستوى الدّلالي .
الكلمات المفتاحيّة : مقاصد، أبوحيّان،، الأندلسي، تفسير، قراءة، الإعرابالمعنى، المستوى، الصّوتي،، الصرفي، النّحوي، الدّلالي.

1 ـ **المستوى الصّوتي:**

هناك أصلان للمستوى الصّوتي: اللّغة ومعارفها المتّصلة بخلق الإنسان، والقراءات القرآنيّة ووجوهها الصّوتيّة، فحين وضع القرّاء العلماء شروطاً للقراءة المقبولة (التي تعدّ قرآناً) جعلوا الرّواية الشّفويّة عن الرّسول (ص) بإجماع في المقدّمة من هذه الشّروط التي بها ضبط القرآن وحفظ من جهات النّقل والكتابة واللّغة.[1]

فعلم الأصوات هو ذلك العلم الذي يدرس الأصوات في حدّ ذاتها من حيث مخارجها وصفاتها من ناحيّة، ووظائفها في الاستعمال اللّغوي من ناحيّة أخرى .

لدراسة الأصوات قطبان: أحدهما يتعلّق بالأصوات في نفسها، وثانيهما يتعلّق بوظيفة هذه الأصوات في عمليّة الكلام، والجانب الصّوتي قد يؤثّر على المعنى.

وللجانب الصّوتي تأثير على المعنى؛ يتجلّى ذلك في تفسير القرّاء

---

[1] – مكّي بن أبي طالب القيسي، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق د/ عبد الفتّاح اسماعيل شلبي، القاهرة، مصر،دار النهضة،، 1978م، ص39.

لقوله تعالى: (فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ)[1]بأن قالوا: فالذين خفضوا ونوّنوا ذهبوا إلى أنّه صوت لا يعرف معناه إلاّ بالنّطق به، فحفظوه كما تحفظ الأصوات، ومن ذلك قول العرب :سمعت طاق طاق (صوت الضّرب).

وقد رأى ابن جني(ت392هـ) في (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) في الخصائص: " وهو أن يتقارب الحروف لتقارب المعاني،، بابا واسعا، من ذلك قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا)[2].أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى: تهزّهم هزّاً، والهمزة أخت الهاء،وتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، كأنّهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنّها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أقوى في النّفوس من الهزّ؛ لأنّك قد تهزّ ما لا بال له، كالجذع وساق الشّجرة ونحو ذلك."[3]

وغالباً ما يلجأ المفسّر إلى الجانب الصوتي لتوجيه قراءة من القراءات حتّى تتوصّل إلى جوازها من عدمه. وبمعرفة فنّ القراءات نعلم اختلاف ألفاظ الوحي المنزّلات، وبه يصان كتاب اللّه من التّحريف والتّغيير، ونعرف ما يقرأه كلّ واحد من الأئمّة النّحارير، مع فوائد أخرى كثيرة وثمرات. كما فعل أبو حيّان النّحوي في تفسير لفظة (اضطرّ) في قوله تعالى: (وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ)[4] ؛ إذ يقول: " قرأ يحيى بن وثاب: فأمتّعه مخففاً، ثمّ إضطرّه بكسر الهمزة"[5] وقد خطّأها أبو حيّان الأندلسي ؛ لأنّ جمهور العرب عن غير الحجازيّين لا يكسر الهمزة في هذا.

أمّا قراءة ابن محيصن (ثمّ أطّرّه) بإدغام الضّاد في الطّاء، فقال فيها الزّمخشري(ت538هـ): "هي لغة مردودة؛ لأنّ الضّاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها."[6]

على أنّ قراءة ابن محيصن في رأي أبي حيّان جائزة ؛لأنّ سيبويه

---

[1] – سورة الإسراء، الآية 23.

[2] –سورة مريم، الآية 83.

[3] – ابن جنّي، الخصائص،تحقيق علي النّجّار، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ص 6 14.

[4] سورة البقرة، الآية 126. –

[5] ــ أب وحيّان، البحر المحيط، ج1، بيروت – لبنان، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ج614/1.

[6] – الزّمخشري، الكشّاف، تصحيح وترتيب مصطفى حسين أحمد، القاهرة، دار الرّيان للتّراث،، الطّبعة الثّالثة 1987، ج 1 /310

(ت 180هـ) نقل عن بعضهم إدغام الضّاد في الطّاء، كما أدغموا في (مضطجع)قالوا مطّجع، ونقل أيضاً عن بعضهم، وهو المشهور إدغام الطّاء في الضّاد، وقالوا في مضطجع :مضّجع، وكلاهما جائز؛ لأنّ صوت الصّاد والطّاء متقاربان في المخرج متشابهان في الصّفات.

وعلم القراءات من بين العلوم التي أسّس عليها أبو حيّان الأندلسي منهجه اللّغوي في تفسير القرآن العظيم، وهي إحدى العلوم النّقليّة، التي تقوم على الرّواية والتّلقي، لا دخل للاجتهاد فيها والرّأي، غايتها معرفة الطّريقة الصّحيحة المضبوطة لتلاوة القرآن، تلاوة سليمة لا يشوبها الخطأ والتّحريف. أمّا علم التّفسير ف" يبحث عن كيفيّة النّطق بألفاظ القرآن " [1].

ويفهم من هذا القول:

ـ أنّ التّفسير ميدان يبحث فيه عن(القراءات القرآنيّة) وهي قاعدة يبنى عليها التّفسير.

ـ أنّ الدّراسات الصّوتيّة هي صلب القراءات القرآنيّة،مرتبطة بالذّكر الحكيم.

لذا نجد أبا حيّان يقدّم الكثير من المسائل الصّوتيّة وعلاقتها بالصّرف واللّهجة والنّحو والدّلالة ..، فهو يجمع بين القراءات القرآنيّة وبين العلوم اللّغويّة في بناء متكامل من أجل تفسير القرآن الكريم.

2 _ **المستوى الصّرفي :**

يبحث في **المستوى الصّرفي** عن أحكام بنية الكلمة العربيّة من حيث التّجرّد والزّيّادة،والصّحّة والاعتلال والاشتقاق." [2] أو هو مستوى دراسة الصّيغ اللّغويّة، بخاصّة تلك التّغيّرات التي تعتري صيغ الكلمات، فتحدث معنى جديداً مثل اللّواحق التّصريفيّة.[3]

وقد عرّف أبو حيّان التّصريف بقوله: " التّصريف معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب. "[4] وبذلك يكون قد اختصر ما أورده ابن عصفور (ت669هـ) في كتابه (الممتع في التّصريف)[5].

ولئن اختلف أبو حيّان مع ابن عصفور في كثير من المسائل

---

[1]– أب وحيّان، البحر المحيط، ج 1 / 26.

[2]– د/ صبري متولّي، علم الصّرف العربي، دار غريب، سلسلة اللّغة العربيّة، ص10.

[3] – ماري وباي،أسس علم اللّغة،ترجمة وتعليق د/ أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، 1403هـ /1983م، ص43.

[4] – أب وحيّان النّحوي، المبدع في التّصريف، تحقيق وشرح وتعليق السّيّد طالب، الكويت، مكتبة دار العروبة للنّشر والتّوزيع، 1982، ص19.

[5] – ابن عصفور الأندلسي،الممتع في التّصريف،تحقيق فخر الدّين قباوة،، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة،. ط 4، 1979، 30/1.

الصّرفيّة، فإنّه اتّفق معه في التّعريف بعلم الصّرف، ويؤكّد هذا الاتّفاق ما جاء عند أبي حيّان في كتابه (ارتشاف الضّرب) في قوله: " القسم الأوّل: وهو المسمّى بعلم التّصريف، وينقسم قسمين: أحدهما: جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني، وسيأتي في الأخير تغيير الكلمة لغير معنى طارئ عليها،وينحصر في الزّيادة والحذف والإبدال والقلب والنّقل والإدغام."[1] فلا شكّ أنّ دراسة التّركيب الصّرفي للكلمة يؤدّي إلى بيان المعنى، كما أنّ لتغيير الصّيغ دوراً في زيّادة المعنى: فصيغة (فعل) تدلّ عند الصّرفيّين على التّغيير في الفعل، والفرق واضح بين دلالة الفعل (غَلَقَ) والفعل (غلّق)، نحو قوله تعالى: (**وَغَلَّقَتِ الأبْوَابَ**) [2].

ولعلم الصّرف مكانة خاصّة في منهج أبي حيّان اللّغوي، حيث أنّ الصّرف عمليّة لغويّة تسبق النّحو في تفسير البحر المحيط،وهذه العمليّة ذات فائدة في الدّرس اللّغوي العربي من حيث معرفة الإفراد قبل التّركيب. ذلك :"لأنّ معرفة المفرد تتقدّم على معرفة المركّب."[3]

هذه النّظرة الدّقيقة للتّحليل اللّغوي جعلت أبا حيّان في البحر المحيط يفسّر الآيات القرآنيّة من الوجهة الصّرفيّة من منطلق هذه المنهجية الرائدة، والتي لا تظهر للدّارس فائدتها إن اقتصر على إمعان النظر في بعض الآيات فقط؛ فأبوحيّان لا يعيد كلاماً سبق ذكره إلاّ لفائدة.

فمن نماذج هذا التفسير وقوفه عند لفظة (الاستباق) في قوله تعالى: **(فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا)**[4] فالاستباق: افتعال من (السّبق)، وهو الوصول إلى الشّيء أوّلاً ويكون افتعل منه، إمّا لموافقة المجرّد، فيكون معناه ومعنى سبَق واحد، أو لموافقة تفاعل، فيكون استبق وتسابق بمعنى واحد." [5]

وانسجاماً مع القاعدة التي حدّدها أبو حيان الأندلسي في خطّة تفسيره، وهي النّظر إلى مفردات الآية من الوجهة الصّرفيّة في أوّل خطوة من منهجه، فإنّه يعالج كلمة **الرّحمـــن**: فهي على وزن فعلان، وهي مشتقّة من الرّحمة، وهي أكثر مبالغة من رحيم، وهي صفة

---

[1] ــ أب وحيّان النّحوي،ارتشاف الضّرب،13/1.

[2] – يوسف، الآية23.

[3] – أب وحيّان، النّكت الحسان، ص34.

[4] – البقرة، الآية 148.

[5]– أب وحيّان، البحر المحيط، ج 1 /419.

تختصّ بالله وحده ولا تطلق على البشر.[1]

واهتمام أبي حيان بالصّرف بنسبة متميّزة عن بعض العلوم الأخرى ليس قائماً على المصادفة، وإنّما كان قائماً على وعي بالوظيفة الدّلاليّة الّتي يقوم بها في اللّغة:

مضروب وضارب، وبين مُضْرب ومَضْرَب، وبين ضارب ومُتَضارب، وعن طريقه تفهم: اصطرّ أصلها : صبر- اصتبر - اصطبر. فالصّرف يمكّن من معرفة أحوال الألفاظ في القرآن من تغيير وحذف، وقلب، وإدغام، وزيادة، وأصل واشتقاق، هذه الأحوال تساهم في تحديد المعنى الدّلالي القرآني.

والصّرف عند أبي حيان يسبق النّحو(بمعنى الإعراب)، وهو بهذا يتّفق مع ابن جنّي القائل: "فالتّصريف إنّما هو لمعرفة أنفس الكلم الثّابتة، والنّحو إنّما هو لمعرفة أحواله المتنقلة... ألا ترى أنّك إذا قلت: قام بكر، ورأيت بكراً، ومررت ببكر، فإنّك إنّما خالفت بين حركات الإعراب لاختلاف العامل، ولم تعرض لباقي الكلمة. وإذا كان كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النّحو أن يبدأ بمعرفة التّصريف؛ لأنّ معرفة ذاته الثّابتة ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة.[2]

إنّ نظرة كلّ من أبي حيان وابن جنّي ثاقبة؛ لأنّ معرفة أحوال الأفراد ينبغي أن يسبق معرفة التّركيب، فكان لهما بذلك فضل السبق على علماء اللغة المحدثين الّذين يرون دراسة الصوت تسبق دراسة الصّرف، ودراسة الصّرف تسبق دراسة التّركيب.

3 - المستوى التّركيبي النّحوي

علم النّحو في اللّغة: النّحو: إعراب الكلام العربي، والنّحو القصد والطّريق يكون ظرفاً ويكون اِسماً، نحاه ينحوه وينحاه نحواً، وانتحاه، ونحو العربيّة منه، " إنّما هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره، كالتّثنيّة والجمع، والتّحقير والتّعبير، والإضافة والنّسب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربيّة بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، أو إن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها. وهو في الأصل مصدر شائع، أي: نحوت نحواً كقولك قصدت

---

[1] - نفسه،ج 31/1.

[2]- ابن جنّي، الخصائص،تحقيق علي النّجّار، بيروت، لبنان، دار الكتاب،ج1،ص4.

قصداً"[1].

ــ علم النّحو: " هو علم يقوم بالبحث في أحكام بنية الجملة من حيث ألقابها وإعرابها وبنائها وإلى غير ذلك من الأحكام" [2].

كما يعرف به النّظام النّحوي للجملة، وهو ترتيبها ترتيباً خاصّاً،بحيث تؤدّي كلّ كلمة فيها وظيفة معيّنة، حتّى إذا اختلّ التّركيب اختلّ المعنى".[3]

وإذا كان الصّرف يهتمّ برصد التّغيير الذي يمسّ بنية الكلمة، فإنّ النّحو يتعلّق بمعرفة أحكام الجملة العربيّة عند تركيبها، ويرصد التّغيير الذي يطرأ على أواخر الكلمات، وهناك علاقة تربط بين المعنى الدّلالي والوظيفة النّحويّة لكلّ كلمة داخل الجملة، ولولا النّحو ما عرفنا المراد من قوله تعالى: (**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ**) [4]، وقوله عزّ وجلّ: (**أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**) [5] وقوله سبحانه وتعالى: (**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُور**)[6].

كلّ هذا يؤكّد الصّلة القويّة التي تربط بين التّركيب النّحوي ومعناه. وذلك حتّى يصل المفسّر إلى المعنى الدّلالي لآيات الذّكر الحكيم.

هل النّحو والإعراب سيّان ؟

قال ابن جنّي: "الإعراب: فهو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنّك إذا سمعت: أكرم سعد أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرعاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه"[7].

وأصل الإعراب: البيان، يقال أعرب رجل عن حاجته إذا أبان عنها، ثمّ إنّ النّحويّين لمّا رأوا في أواخر الأسماء والأفعال حركات تدلّ على المعاني، وتبين عنها سمّوها إعراباً أو بياناً، وسمّي النّحو إعراباً والإعراب نحواً سماعاً؛ لأنّ الغرض طلب علم واحد، (والإعراب الحركات المبينة عن معاني اللّغة).[8]

---

[1] ــ ابن منظور، لسان العرب، بيروت– لبنان، دار صادر للطباعة والنّشر، المجلّد السّادس، ط1997، ص155.

[2]– ينظر صبري متولي، علم الصّرف العربي، ص11.

[3] – صالح بلعيد، الإحاطة في النّحو، ابن عكنون– الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، ص60.

[4]– سورة البقرة، الآية 124.

[5]– سورة التّوبة، الآية 3.

[6]– سورة فاطر، الآية 28.

[7]– ابن جنّي،الخصائص، ج1، ص35.

[8] – الزّجاجي،الإيضاح في العلل، تحقيق مازن المبارك، ط2، 1393هـ /1973م، ص91.

وجاء في المنصف: " التّصريف إنّما هو لمعرفة أنفس الكلم الثّابتة، والنّحو إنّما هو لمعرفة أحواله المتنقلة" [1].

وقد يعود السّبب في أنّ أبا حيان جعل النّحو أو الجانب التّركيبي عمدة أساسيّة في منهجه اللّغوي لتفسير القرآن الكريم، إلى ارتباطه بمذهبه النّحوي، والأهداف التي يرمي إلى تحقيقها؛ فهو يفنّد الآراء المبنيّة على النّشاط العقلي،والانتماء المذهبي، ممّا أدّى إلى التّأويلات البعيدة التي تخالف طبيعة التّحليل عنده.

لذا لا نجد عند أبي حيان ميلاً إلى تأويل، ولا إلى تمحّل ومبالغات،ولا إلى غريب التّوجيه، وإنّما يركن – في الغالب – إلى ظاهر الكلام تماشياً مع قوله: " متى أمكن حمل الكلام على غير إضمار، ولا اختصار،كان أولى من أن يسلك الإضمار والاقتصار. وهكذا تكون عادتنا في إعراب القرآن لا نسلك فيه إلاّ الحمل على أحسن الوجوه، وأبعدها عن التّكلف، وأسوغها في لسان العرب"[2].

ويتجلّى موقفه هذا من خلال نماذج إعرابيّة ودلاليّة كثيرة في تفسيره، منها على سبيل المثال لا الحصر: تفسيره لقوله تعالى: (لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)[3] : "هناك قراءتان لهذه الجملة، قراءة الجمهور، وهي فتح(لا ريبَ)،وقراءة أبي السّمّاك وزيد بن علي برفع (لاَ رَيْبٌ)، وللقراءتين أوجه إعرابيّة، عرضها أبو حيان وبيّن موقفه من بعضها:

ـ فإنّ قراءة (**لاريب فيه**) بالفتح تكون (لا) نافيّة للجنس،وتسمّى حينئذ (تبرئة)[4]، ويكون إعراب لاريب فيه (لا) نافيّة للجنس و(ريبَ) اسمها، و(فيه) شبه جملة(خبر لا)، و(لا) هنا تقوم بوظيفتين: وظيفة نحويّة (عامليّة) غيّرت أواخر الكلمات في التّركيب، ووظيفة دلاليّة، هي جعل التّركيب ينفي كلّ أجناس الرّيب في الكتاب.

ـ أمّا قراءة (**لاريبٌ فيه**) بالرّفع، ففيها أوجه إعرابيّة أو احتمالات:

إمّا أنّ (**ريبٌ**) مبتدأ و(**فيه**) تكون حينئذ مهملة، وعليه وجب تكرار– حسب القاعدة النّحويّة– (لا رجل في الدّار ولا امرأة)، ولهذا عدّ أبو حيان هذا الاحتمال ضعيفاً ؛ لأنّه يفتقر إلى قاعدة نحويّة، وتكون وظيفة (لا) حسب هذه القراءة مختلفة عن الأوّل من حيث العامليّة

---

[1] – ابن جنّي، المنصف،ج 1 / 4 .

[2] – أب وحيان، البحر المحيط، ج1/ 62.

[3] – سورة البقرة، الآية2.

[4] – ابن هشام الأنصاري، مغني اللّبيب، تحقيق مازن مبارك وزميله،دار الكتب العلميّة، ط1996، ص 313.

والدّلالة.
وإمّا أنّ (لا) في هذه القراءة (رفع) لا ريب، تعمل عمل ليس، أي ترفع المبتدأ وتنصب الخبر، ويكون (فيه) في موضع نصب.

قال أبو حيان حول هذا الوجه الإعرابي: " وحمل (لا) في قراءة لا ريب على أنّها تعمل عمل ليس ضعيف، لقلّة إعمال (لا) عمل ليس، فلهذا كانت هذه القراءة ضعيفة" [1].

إنّ أبا حيان لم يعتمد في الوجه المختار على أيّ إضمار، ممّا يدلّ على تأثره بالمذهب الظّاهري، وتأثره بالاتّجاه الكوفي وخاصّة في مجال القراءات .

4 – **المستوى الدّلالي :**

يدور المستوى الدّلالي في مجالين هما:

أ ــ دراسة المعاني المفردة للألفاظ وتحديد معانيها المعجميّة.

ب ــ دراسة التّغيّرات المجازيّة والخاصّة.

ولم يكن أبو حيّان الأندلسي وحده الّذي اهتمّ بالمعنى القرآني، وإنّما كانت عناية المفسّرين به منذ عهد الرّسول (ص)، ومن أجل ذلك وضعوا لمعرفة معاني القرآن علم التّفسير، قال جلال الدّين السّيوطي (ت 911هـ): " يفهم به كتاب الله المنزّل على نبيّه محمّد (ص) وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه " [2].

إنّ المعنى عند أبي حيّان في البحر المحيط يقوم على طريقين:

أ ــ طريق لغوي (أي المعنى اللّغوي) ويشمل: المعنى المعجمي، والصّوتي، والصّرفي، والتّركيبي، والبلاغي، والأصولي.

ب ــ وطريق غير لغوي: (أي المعنى غير اللّغوي) أي خارج اللّغة، ويشمل أسباب النّزول، والمكّي والمدني، والتّرتيب الزّمني لنزول الآيات، والنّاسخ والمنسوخ، والحديث النّبوي الشّريف، وأقوال الصّحابة.[3]

ويمكــن الحديث على أسباب النزول بوصفها نماذج للمعنى غير اللّغوي عند أبي حيان: وهي الأحداث والوقائق الملامسة للنّصّ القرآني،. فمثاله قوله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا**) [4] من حيث لا نستطيع أن ننفذ إلى المعنى الأساسي

---

[1] – أب وحيان، البحر المحيط، 62/1.

[2] – السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، القاهرة –مصر، دار نهر النّيل، ج2، ص 174.

[3] – انظر مقدّمة البحر المحيط، ج1.

[4] – سورة البقرة، الآية 26.

في هذه الآية إذا اقتصرنا على المعنى المعجمي، والصّرفي والإعرابي فقط، ولكن حينما نحدّد الوقائع والأسباب التي أدّت إلى نزول هذه الآية، فإنّنا نستطيع أن نعرف معناها، وعلى هذا التّفسير يمكن القول: إنّ معنى بعض الآيات القرآنيّة يقوم على دعامتين، هما : المعنى اللّغوي، والمعنى غير اللّغوي(المقام).

ففي الآية السّابقة بيّن أبو حيان أسباب نزولها فذكرها كما يلي:

1- قال ابن عبّاس(ت 68هـ)- رضي الله عنهما والحسن قتادة ومقاتل والقرّاء: نزلت في اليهود، وكما ضرب الله الأمثال في كتابه بالعنكبوت والذّباب، والتّراب، والحجارة، وغير ذلك ممّا يستحقر ويطرح، قالوا : إنّ الله أعزّ وأعظم من أن يضرب الأمثال بمثل هذه المحقرات، فردّ الله عليهم بهذه الآية.[1]

2- وقال الحسن(ت23هـ) ومجاهد (ت 245هـ) والسّدي وغيرهم، نزلت في المنافقين، قالوا لمّا ضرب الله تعالى المثل بالمستوقد والصّيّب، قالوا: الله أعلم وأعظم أن يضرب الأمثال بهذه الأشياء التي لا بال لها، فردّ الله عليهم بهذه الآية.[2]

3- وقيل نزلت في المشركين.[3]

وكلّ هذه الأسباب التي جاء بها أبو حيان محتملة ؛ لأنّ" الكلّ في رأيه محتمل إذ اشتملت على نقض العهد، وهو من صفة اليهود،لأنّ الخطاب بوفاء العهد إنّما هو لبني إسرائيل، وعلى الكافرين، (**وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**) [4] وهم المشركون والمنافقون، وكلّهم كانوا في إيذائه متوافقين."[5]

فتحديد سبب نزول الآية هو في حدّ ذاته تعيين العناصر الرّئيسيّة التي تقوم عليها الآية، وبعبارة أوضح تعيين المقام الذي أوجد هذا المقال، أو كما يسمّى بسياق الحال، وهو وسيلة ذات أهميّة قصوى في تحديد المعنى القرآني في كثير من الآيات.

---

[1] – أب وحيان، البحر المحيط، ج 193/1.

[2] – نفسه،ج 120/1 .

[3] – نفسه، ج120/1.

[4] – سورة الأحزاب، الآية 12.

[5] – أب وحيان، البحر المحيط، ج194/1.

قائمة المصادر والمراجع :

1 - أبو حيّان النّحوي، البحر المحيط، بيروت – لبنان، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع .

2 – أبو حيّان النّحوي،ارتشاف الضّرب، ج1.

3- أبو حيّان النّحوي، المبدع في التّصريف، تحقيق وشرح وتعليق السّيّد طالب، الكويت، مكتبة دار العروبة للنّشر والتّوزيع، 1982م.

4 – ابن جنّي، الخصائص،تحقيق علي النّجّار، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي.

5- ابن عصفور الأندلسي،الممتع في التّصريف،تحقيق فخر الدّين قباوة، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط 4.

6 – ابن منظور، لسان العرب، بيروت لبنان، دار صادر للطباعة والنّشر، المجلّد السّادس، ط1997 م.

7- ابن هشام الأنصاري، مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن مبارك وزميله، دارالكتب العلميّة، ط 1998م.

8 – الزّجاجي،الإيضاح في العلل، تحقيق مازن المبارك، ط2، 1393هـ /1973م.

9ـ الزمخشري، الكشّاف، تصحيح وترتيب مصطفى حسين أحمد، القاهرة،دار الرّيان للتّراث،، ج1، الطّبعة الثّالثة 1987 .

10ـ صالح بلعيد، الإحاطة في النّحو، ابن عكنون، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعيّة.

11- صبري متولّي، علم الصّرف_العربي، دار الغريب، سلسلة اللّغة العربيّة "، 2002 م.

12- – السّيوطي،الإتقان في علوم القرآن، القاهرة –مصر، دار نهر النّيل، ج.2

13- ماريو باي،أسس علم اللّغة،ترجمة وتعليق د/ أحمد مختار عمر، عالم الكتب، 1403هـ /1983م

14- مكّي بن أبي طالب القيسي، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق د/ عبد الفتّاح اسماعيل شلبي، القاهرة، مصر، دار النهضة، 1978م.